وعموده الفقري، فهم الأكثر عطاء وإنتاجية، اتصالا بتفرغهم الكلي وقدراتهم ومهاراتهم، بل لأنهم يتمتعون بهذه المزايا يتم اصطفاؤهم، وقد تكون بداياتهم أكثر بساطة ولكنهم يستجيبون في غمرة الممارسة.

والمتخفي لا تناقش معه الصفات الفكرية والسياسية والعملية أو الصمودية أو السلوكية، فهي تحصيل حاصل وبدهية، وما يناقش معه هو الارتقاء بهذه الصفات استجابة لمطالب العمل المتنوعة والمتعاظمة. أما إذا اخل بأية صفة فقد اخل بالشروط التي يقتضيها التخفي... فمثلا لا يناسب الاستخفاء من يفتقر لمؤهلات منظّم من طراز رفيع أو جيد، أو العمق الفكري والقدرة الصحافية أو قد يفرط بالأسرار تحت أي ظرف أو يبدي ارتخاء في التقيد بالمسلكية الثورية أو يتسامح مع احتياجاته كانسان بما لا يتيحه التخفي...

(كان ثمة إطلالة جزئية على تجارب المجموعات الفدائية الفلسطينية، وقراءات للأدب السوفييتي الذي يصور ظاهرة التخفي في أوكرانيا لمقاومة النازية، والصباح في إيران ضد الأيوبيين والفرنجة على حد سواء، والتجربة العجيبة لبول بوت الذي اختفى أربعين سنة في الأدغال، أو اليسار المقاتل في البيرو وقائده غوزمي ومن قبله في الاوروغواي وما كتبه دوبريه.

لكن نقاشا دار في سجن السبع في أواسط السبعينات بين ربحي حداد واحمد قطامش ومحمود فنون حول عبارة قالها ماوتسي تونغ «التخفي في المدينة لمواجهة القمع». تركت أثرها وكانت منعطفا في الإجابة عن السؤال الفلسطيني.)[٤١٠]

هل ثمة حاجة للتخفي وما هي نظريته في فلسطين؟ سيما أن الخصائص الفلسطينية معروفة: فلا أدغال ولا كثافة سكانية ولا مدن، مجرد قرى صغيرة تدعى مدناً تجاوزا، وثمة حدود «سياسية» تفصل التجمعات الفلسطينية بعضها عن بعض، إلى درجة أن يكتب المفكر إلياس مرقص أن نظرية حرب الشعب كلها لا تلائم فلسطين... وبالتالي فالبعض قال إن البديل لكل ذلك هو الاستنجاد بالموقف السوفييتي وقرار ٢٤٢؟

كانت الإجابة تحمل ضمنا الانحياز لخيار التخفي، أما نظرية التخفي فقد تشكلت لاحقاً مدماكا بعد آخر في أتون البراكسيس. وفي تلكمّ الفترة تم التعرف على مضامين هذا التعبير الماركسي مثلما تم التعرف على غرامشي ومقولاته حول الثقافة والمثقفين والكتلة التاريخية والمجتمع المدني

---

٤١٠) أحمد قطامش، سجن السبع